يهوشع. فكتاباته، كافة، لا تخلو، ولو بالاستعارة، من هذه الازمة الرابضة على حياة المجتمع الاسرائيلي. وحتى أشد رواياته عمقاً وتقنية («طلاق متأخر») التي لم تأتِ على ذكر العربي بشكل معلن وصريح الاّ مرتين (وذلك تمّ على لسان شخصيات يهودية وبشكل عارض) قدّمت رؤية الى الصراع القائم بين الطرفين، وذلك بناءً على قوانين التحليل النفسي للعلاقات الشخصية في الرواية.

ان الجنون الذي حملته شخصيات «طلاق متأخر» أوحت بتلك القوة الهدّامة التي تزرع في نفوسهم، جراء الوضع القائم. ومسرحيته «ليلة في حزيران»[١٣] قدّمت، هي الاخرى، صورة للصراع؛ فالمسرح والادب يتفجّر عامة في هذه البلاد بعد نشوب الحروب. وهذه الظاهرة جديرة بدرس متأنّ؛ اذ يكاد الأدب العبري يحتفظ، دائماً، برباطة جأشه ازاء الهدوء المنضغط؛ لكن ما ان تنشب حرب جديدة حتى يستعيد الكتّاب اقلامهم ويبدأون بمحاسبة الذات والواقع، اللذين هما ليسا الاّ نتاج السياسة الصهيونية التي تفسد الحياة وتقدّم الجيل الجديد ضحايا دائمة لحرب قد لا تنتهي.

امّا موضوع الصراع في «في مطلع صيف ١٩٧٠» فبدا أقل قوة وزخماً من رواية «طلاق متأخر». فالبلبلة التي يحياها الكاتب كانت واضحة في تلك القصة. لكن صراع الجيلين، وأبعاده، واضح، أشد الوضوح، واهتمام الكاتب بنسف مسلّمات الجيل القديم (المتمثّل بتجديد شبابه بالحرب) واضح جداً. ان الصورة الماثلة امامنا هي أزمة الفكر الصهيوني ازاء الممارسة: هل يظل الشباب لحم مدافع الختيارية الذين يستمرون في حياتهم على قبور امواتهم؟ وهل تستأهل الفكرة، عامة، كل هذه التضحيات؟ ومهما حاول يهوشع ان يدافع، نظرياً، عن مواقفه الصهيونية، الاّ ان أدبه، مع كل رباطاته الايديولوجية المفروضة عليه، يقدّم نقضاً لهذا الفكر الذي يحاصر صاحبه والآخر في دائرة يصعب معها التقدّم الى اللقاء الحقيقي، بل يتشوّش كل شيء.

عند هذه النقطة يجب الوقوف والتمعّن بحقيقة الموقف اليهوشعي: أرضية روايته تدلّل على افلاس الصهيونية وحتى نهايتها؛ لكن تصريحاته تحاول التأكيد انه صهيوني حتى العظام. هذا التناقض يدفع المرء الى التفكير والسؤال عن مدى أهمية الفكرة الايديولوجية التي تجد نقيضها في الأدب، وهذه نقطة تسجّل لصالح الكاتب في النهاية، مع كل تقييداته للنص في أحيان. ان السؤال الصهيوني في أدب يهوشع حمل بذور تناقضاته على نحو واضح ولا يدعو الى الشك. والسؤال الأخطر من كل ذلك هو مدى قدرة الكاتب على تحمّل، وتحميل، أدبه ايديولوجيته، التي قد تنقلب مرات الى عملية خطرة، والتي قد تحوّل الادب الى خطة مرسومة سلفاً، أو يفتقد العمل الكثير من عفويته وحرارته وكل ما يتعلق بذلك من اشكالات عديدة. فيهوشع هو أحد الكتّاب البارزين الذين يسعون الى التوفيق بين الايديولوجيا الصهيونية (المتفككة على أرضية الواقع) والواقع، والتناقض الناتج عن ذلك، وهذا، بحد ذاته، شكّل النواة الرئيسة في أعماله كافة، بدءاً من قصصه الاولى حتى آخر أعماله الروائية.

ان الأدب العبري، عامة، يعيش أزمة اشكالية الصهيونية المطروحة، والمفروضة عليه في أحيان. وهو بهذا يتحوّل الى شهادة على فترة تعيش الصهيونية فيها كل تناقضاتها التي ستقود بها الى نهايتها. ويكاد لا يخلو الأدب العبري عامة من هذه الأزمة، على الرغم من ان هنالك كتّاباً قلائل جداً استطاعوا ان يتخلّصوا من اطار السقف، وضربه، ونقضه في أحيان. وأحدى العلامات البارزة على ذلك هي مسرح حانوخ ليفين. وعلى الرغم من التقنية العالية في كتابات بعض الكتّاب العبريين المعاصرة، الاّ ان الريبورتاج ظل هو المفتاح الاهمّ في هذا الأدب؛ اذ ان أدباً يعيش اشكالية صهيونية (تحمل بذور الاستعلاء والتمييز والتوسّع العسكري) لن يكتب له الدوام، الاّ في حالات نادرة،